سلسلة : معالم بلدى

مدن القناة

دكتور
حسن عبد الله الشرقاوي

مكتبة الإيمان - المنصورة
ت/ ٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مدن القناة

(نديم) ولد مجتهد ومتفوق فى دراسته . يحب القراءة كثيرًا ، كما يحب ألعاب الكمبيوتر ، ويهوى زيارة الأماكن التاريخية ومشاهدة المعالم الأثرية .

كثيرًا ما يطلب (نديم) من أبيه أن يشرح له دروس التاريخ، ويحكى له عن معالم البلدان . ولأن والد (نديم) يعشق ذلك الأمر فقد قرر أن يدعم حكاياته منذ البداية بالرؤية على الطبيعة .

جمع الأب ابنه (نديم) وابنته (نوران) ومعهما زوجته ، وأخبرهم بأنه حجز لهم فى رحلة بحرية سوف تقلع من مدينة الإسكندرية إلى مدينة السويس وستمر بالقناة ، وسيقضون ليلة فى كل من مدينة بورسعيد - الإسماعيلية - السويس ثم يعودون برًا بالأتوبيس مره أخرى إلى الاسكندرية .

جهزت الأسرة حاجاتها ، وفى اليوم المحدد أبحرت السفينة من ميناء الإسكندرية وقضى المسافرون على ظهرها أمتع الأوقات فى اللعب والمرح وصيد الأسماك ومشاهدة الطبيعة الساحرة .



اقتربت السفينة من شاطئ مدينة بورسعيد وبعد أن رست نزل الجميع لقضاء يوم فى هذه المدينة العريقة ..

اصطحب الأب أسرته وجاب بهم المدينة من أقصاها إلى أقصاها ، وأثناء ذلك راح يحكى لهم بعضًا عن تاريخ المدينة فقال : .

- تنسب مدينة بورسعيد إلى مؤسسها الخديوى (سعيد) وهى مكونة من مقطعين الأول (بورت) بمعنى ميناء والثانى (سعيد) وهو الخديوى .. وقد أنشئت بورسعيد سنة١٨٥٥م بعد أن منح الخديوى (سعيد) مسيو (ديليسبس) امتياز لتأسيس شركة أجنبية لحفر قناة تربط بين البحرين المتوسط والأحمر ويقضى الامتياز أيضًا أن تمتلك هذه الشركة الأجنبية حق استغلال القناة لمدة ٩٩سنة من تاريخ افتتاحها للملاحة .. !!

رُفع العلم المصرى فوق أرض بورسعيد فى سنة١٨٥٩م. وألقى مسيو (ديليسبس) كلمته معلنًا بها بدأ العمل فى حفر القناه ، وفى عام ١٩٠٢م أُسس ميناءها الأول . وفى عام ١٩٥٦م تعرضت مع باقى مدن القناة للعدوان الثلاثى من قبل إنجلترا وفرنسا وإسرائيل بعد إعلان تأميم القناة ولكن ابناء بورسعيد أظهروا شجاعة نادرة واستبسلوا فى مقاومة العدوان



حتى كتب لهم النصر . تأثرت بورسعيد كذلك بالعدوان الإسرائيلى سنة١٩٦٧م حيث أُغلقت القناة أمام الملاحة العالمية وتم تهجير أبناء المحافظة سنة ١٩٦٩ إلى باقى مدن وقرى مصر . . !!

سأل (نديم) :

ـ وما هو التهجير يا أبى ؟!

أجاب الأب قائلاً :

ـ التهجير يا ولدى هو الترحيل بمعنى أن مدن القناة أصبحت غير آمنة لتعرضها لقصف العدو ليل نهار فقامت الحكومة بترحيل المواطنين من هذه المدن إلى مدن وقرى مصر فى الدلتا والصعيد .

سألت (نوران) :

ـ ألم يعودوا إلى بيوتهم مرة ثانية يا أبى ؟!

أجاب الأب مبتسمًا :

ـ بلى . . عادوا يا ابنتى بعد انتصار مصر فى حرب أكتوبر المجيده سنة١٩٧٣م وافتتحت القناة مرة ثانية أمام الملاحة سنة ١٩٧٥م . وعاد أبناء بورسعيد لأعمالهم . وفى نفس العام



أعلن الرئيس محمد أنور السادات أن مدينة بورسعيد منطقة تجارة حرة ، أى أن بضائع الدول الأخرى تباع فيها بأسعار بلدانها وقد ظلت بورسعيد كذلك حتى عهد قريب . .

سأل (نديم) أباه فى لهفة :

ـ ألن نزور بها معالم يا أبى ؟؟

قال الأب :

ـ نحن الآن متجهون إلى متحف المدينة لزيارته . . وقد افتتح فى عام ١٩٨٦م، ويحوى مجموعة من الآثار القيمة التى تمثل مختلف عصور مصر من عصر ما قبل التاريخ وحتى عهد الخديوى إسماعيل . . وبالمتحف أكثر من ٦آلاف تحفة أثرية . وملحق بالمتحف حديقة أثرية تعرض فيها قطع نادرة . .

سألت (نوران) :

ـ وما هو عصر ما قبل التاريخ يا أبى ؟!

أجاب الأب قائلاً :

ـ هو العصر الذى سبق كتابة وتسجيل الأحداث التاريخية ، فقد كان الإنسان لا يزال بدائى يعيش فى العراء ويأكل الحيوانات

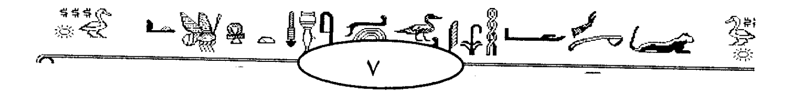


ويستر جسده بجلودها . . ولكن لما تقدم الإنسان استقر فى القرى وأنشأ المدن وأصبح له كيان اجتماعى : أسرة وأبناء وعائلات ومناسبات . واخترع الكتابة فسجل أحداث التاريخ على الجدران والجلود وفى أوراق البردى القديمة ، ومنها عرفنا كل شىء عن الإنسان وحضاراته المختلفة التى بناها فى شتى بقاع الأرض . . !!

بعد ذلك اصطحب الأب أسرته لزيارة المتحف الحربى الذى يضم ثلاثة قاعات للعرض ، خُصصت الأولى منها لتاريخ مصر الفرعونى والإسلامى والثانية لعرض كفاح الشعب البورسعيدى ضد العدوان الثلاثى سنة١٩٥٦م أما الثالثة فهى لعرض من انتصارات القوات المسلحة المصرية فى حرب أكتوبر المجيدة سنة١٩٧٣م .

وعلى مائدة العشاء حدث الأب أسرته عن ضاحية تتبع بورسعيد وهى مدينة (بورفؤاد) التى تنسب تسميتها إلى الملك فؤاد وقد تأسست سنة١٩٢٠م وتتميز بالهدوء والجمال ، أما ساحلها فرماله ناعمة ومياهه صافية وتنتشر بها الأشجار هنا وهناك .

كما حدثهم الأب عن جزيرة (تنيس) التى تقع فى بحيرة



المنزلــة جنوب بورسعيد وأخبرهم أن بها آثار من العصر الإسلامى .

سألت (نوران) أباها :

- كم تبعد هذه الجزيرة عن ساحل بورسعيد المطل على البحيرة يا أبى ؟

أجاب الأب :

- حوالى ٧ كيلو مترات يا بنيتى أو أقل بقليل . .

فى صباح اليوم التالى عادت الأسرة إلى السفينة التى ما إن تحركت أول خطواتها فى مياه القناة حتى وقف الأب وأسرته يشاهدون ذلك المشهد المؤثر فى نفس المصرى المحب لوطنه . .

هناك قال الأب :

- ها هى قناه السويس التى حفرها المصريون بدمائهم الطاهرة . . وهاهى قاعدة تمثال ديليسبس منصوبة هناك حيث تمر السفن ، وقد ظل التمثال منصوبًا حتى سنة١٩٥٦م حيث أزيل بعد العدوان الثلاثى على مصر .

صمت الأب برهه متأملاً ثم قال :

- إن فكرة حفر قناة تربط بين البحر المتوسط والبحر الأحمر



ليست حديثة كما قد يظن البعض ولكنها قديمة جدا ، فقد أمر الملك الفرعونى تحتمس الثالث بشق قناه تربط بين البحرين ولكن عن طريق نهر النيل الذى يصب فى البحر المتوسط. وقد عُرفت هذه القناه بقناة سيزوستريس . .

مرت القرون ورُدمت قناة سيزوستريس حتى جاءت الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١م) فتجدد حلم شق القناة ولكن بشكل مباشر بين البحرين . . وللخطأ فى الحسابات الهندسية لم ينفذ الفرنسيون مشروعهم . . وعُرض المشروع مجدداً على محمد على باشا فرفضه ظنًا منه أن المشروع إذا فشل فستغرق المياه مصر بأكملها . . عرض مسيو ديليسبس المشروع على محمد سعيد باشا فوافق كما ذكرنا سابقًا . . وفى سنة ١٨٥٩م بُدأ الحفر عند مدينة بورسعيد ، واستمر لمدة عشره سنوات . ثم افتتحت القناة للملاح البحرية فى عهد الخديوى إسماعيل سنة ١٨٦٩م . . وبمناسبة الافتتاح أقيم احتفال رائع أُنفق عليه مليون و٤٠٠ ألف جنيه مصرى ، كما أُنشئ قصر فخمًا على شاطئ بحيرة التمساح عند مدينة الإسماعيليه ، وأُنشئت دار للأوبرا فى وسط القاهرة ، وعُبد (أى رصف) طريق يؤدى إلى أهرامات الجيزة . ووجه الخديوى إسماعيل

الدعوة لثمانية آلاف مدعو كان من بينهم ملوك ورؤساء وعلماء وفنانون من مختلف أنحاء العالم ولا سيما أوروبا .. وقام الموسيقار الكبير (ماريت باشا) بتأليف أوبرا عايده الشهير فى حين عزفها أمام الحضور الموسيقار الإيطالى (فيردى) ..

ومن أهم الأحداث التى مرت بقناة السويس حين قررت الشركة المالكة لها فى سنة١٩٣٧م منح مصر مبلغ مليون جنيه سنويًا فى الوقت الذى كانت تربح فيه الشركة أكثر من ٣٠مليون جنيه فى العام .. وفى عام ١٩٤٩م استبدلت الشركة المالكة المنحة السنوية لمصر بنصيب يُقدر بـ٧٪ من إجمالى الأرباح السنوية .. وفى عام ١٩٥٦م أمم الرئيس جمال عبد الناصر الشركة العالمية لقناة السويس، وأصبحت شركة مساهمة مصرية. الأمر الذى أدى إلى تحرك العدوان الثلاثى من قبل إنجلترا وفرنسا وإسرائيل ضد مصر فى منطقة القناة ولكنهم فشلوا بفضل الله.. وفى عام ١٩٦٧م وقعت الحرب بين مصر وإسرائيل التى احتلت شبه جزيرة سيناء وسيطرت على الضفة الشرقية للقناة .. فأُغلقت أمام الملاحة مرة ثانية حتى استطاع المصريون بعون الله هزيمة الإسرائيليين وعبروا القناة وحطموا خط بارليف الحصين الذى وصل ارتفاعه إلى ٢٠ متر وذلك فى



يوم ١٦اكتوبر سنة١٩٧٣م . . أعيد افتتاح القناة للملاحة مرة ثالثة فى عام ١٩٧٥م واستردت مصر سيناء كاملة فى عام ١٩٨٢م . .

وصلت الأسرة إلى مدينة الإسماعيلية ونزلت بها لقضاء يوم كامل ، وحدثهم الأب عن جزء من تاريخ المدينة فقال :

ـ ظلت مدينة الإسماعيليه بوابة مصر الشرقية مدة طويلة من الزمان فقد عبرها بعض أنبياء الله الذين قدموا من سيناء إلى دلتا النيل ، كما مر بها غزاة وفاتحين . تُنسب تسمية المدينة إلى الخديوى إسماعيل . ومنذ إنشائها وهى تتبع محافظة القناة حتى إستقلت إداريًا فى عام ١٩٦٠م تحت اسم محافظة الإسماعيلية لتضم مدينة الإسماعيلية والقنطره والتل الكبير والقصاصين والفردان وفايد وأبى سلطان وغيرهم . .

ومن أهم الأيام فى تاريخ الإسماعيلية الحديثة يوم ٢٥ يناير سنة١٩٥٢م وفيه وقعت مصادمات عنيفة على أرض المدينة بين قوات الاحتلال الانجليزى وبين أفراد الشرطة المصرية ، فقد قامت قوات الاحتلال بحشر عدد كبير من الجنود والدبابات والعربات المدرعة ودخلت المدينه ووجهت إنذارًا إلى الشرطة المصرية بتسليم أنفسهم والمدينة . ولكن الضباط المصريين رفضوا التسليم رفضًا قاطعًا واندلعت معركة حامية بين الطرفين .

وضرب الإنجليز المدينة بالأسلحة الثقيلة حتى وقعت فى أيديهم بعد استشهاد وجرح عدد كبير من أبناء مصر الشرفاء ضباطًا وجنود . . واتخذت المحافظة من ذلك اليوم عيدًا قوميًا لها . . !

قال (نديم) لأبيه :

ـ أريد مشاهدة معالم المدينة يا أبى . . أرجوك ؟

ابتسم الأب وقال :

ـ لا تقلق يا نديم فلن نترك شيئًا من معالم الإسماعيلية بدون زيارة . . !!

انطلق الأب بأسرته إلى متحف الإسماعيلية وهناك شاهدوا مجموعات من الآثار المختلفة التى اكتشفت فى منطقه القناة وقد أخبرهم الأب أن المتحف افتتح فى عام ١٩٣٢م ، وبنفس الشارع (شارع صلاح سالم) توجه بهم الأب إلى متحف ديليسبس وتعرض به الأشياء الخاصة بمسيو ديليسبس كمذكراته اليومية وعربته الخاصة وكثير من مقتنياته الشخصية . .

زارت الأسرة كذلك النصب التذكارى للجندى المجهول ويقع فوق ربوة عالية جنوب الاسماعيلية بـ ٧ كيلو مترات وتعرف بجبل مريم وقد أُقيم هذا النصب لأجل ضحايا الحرب



العالميه الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) من دول الحلفاء (روسيا ـ أمريكا ـ فرنسا ـ بريطانيا) . .

زارت الأسرة فى ذلك اليوم أيضًا المنطقة (رقم ٦) وهى المنطقة التى شهدت بدء عبور الجيش المصرى فى حرب أكتوبر سنة١٩٧٣م وبها نصب تذكارى لهذا النصر المبين وهو على شكل حربة (بترقية) ، ويضم المكان أيضًا مطعم وبانوراما وقاعة لكبار الزوار ومسرح كبير . . وأخبر الأب أسرته بأن الفريق (عبد المنعم رياض) رئيس أركان القوات المسلحة قد استشهد فى نفس المنطقة سنة١٩٦٩م . . !!

زارت الأسرة أيضًا النصب التذكارى لمعركة دبابات « أبى عطوة » ويقع بقرية أبى عطوة قرب مدينة الإسماعيلية بغرض تخليد ذكرى تصدى الجيش المصرى وشعب الاسماعيلية للدبابات الاسرائيلية سنة١٩٧٣م التى حاولت دخول المدينه . . فى المساء تجولت الأسرة فى (حدائق الملاحة) المنتشره على مساحة ٥٠٠ فدان على جانبى ترعة الإسماعيلية وبهذه الحدائق عدد من أجمل وأندر الأشجار . . !!



في صباح اليوم التالى عادت الأسرة إلى السفينة وما أن تحركت بهم حتى حدثهم الأب عن منطقة تبة الشجره قائلاً :

ـ تقع تبة الشجرة شرق القناة وتبعد عن مدينة الإسماعيلية نحو ١٠ كيلو مترات وكانت إحدى المواقع الحصينة للقيادة الإسرائيلية فى سيناء . .

صمت الأب برهة ثم عاد يقول :

ـ والحق يا أبناء أن من أهم ما يميز محافظة الإسماعيلية هو شواطئها الساحرة المطلة على بحيرة التمساح والبحيرات المرة قراها السياحية الرائعة . . وبالمحافظة أيضا عدد من مقابر الكومنولث فى مناطق فايد والتل الكبير والقنطره شرق وهذه المقابر للقتلى من جنود دول الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) .

تعجب (نديم) قائلا :

ـ مدينة اسمها القنطرة شرق ؟!

ضحك الأب وقال :

ـ وفيما التعجب يا ولدى . . إن مدينة القنطرة شرق كانت من أهم المدن فى تاريخ مصر القديم ، إذ كانت مركزًا لمخازن



الأسلحة والمعدات العسكرية وكانت تطل بحصونها على شاطئ إحدى القنوات وكان لابد لكل قادم من سيناء أن يمر فوق قنطرتها (جسرها) لعبور هذه القناة وهذا يفسر لنا سبب تسميتها . .

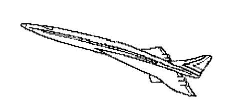
وصلت السفينة بالأسرة إلى ميناء (بور توفيق) وهى إحدى ضواحى مدينة السويس وعندها تلتقى نهاية القناة بخليج السويس الذى ينتهى بدوره بالبحر الأحمر جنوبا.

نزلت الأسرة بشاليهات (بور توفيق) وقضت يومها تتجول بالمدينة هنا وهناك واستمتعت بالغذاء على مياه الخليج وعلى الغذاء حدثهم الأب عن نفق الشهيد أحمد حمدى فقال :

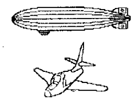
ـ هناك على بعد أقل من عشرين كيلو متر فى الشمال يقع نفق الشهيد أحمد حمدى حيث يربط ضفة القناة الشرقية بضفتها الغربية وقد تم إنشائه بعد وقف إطلاق النار بين الطرفين المصرى والإسرائيلى . ويقع جسم النفق تحت مياه القناة وطوله ١٦٤٠متر . ويمتد مدخله الشرقى حوالى ١٠٤٠متر فى حين يمتد مدخله الغربى مسافة ٢٢٨٨متر . . !

كما حدثهم الأب عن متحف أكتوبر عند مدخل مدينة

السويس على الطريق الصحراوى إلى القاهرة وقال :



- هو متحف صغير يعرض مجموعة من الاسلحة والدبابات والصواريخ التى استخدمت أثناء الحرب مع إسرائيل (١٩٧٣م) والمتحف بدون سور ليتمكن من يزور السويس مشاهدة معروضاته وهو بداخل السيارة أو الأتوبيس المار على الطريق. . !!



سألت (نوران) قائلة :

- أليست من معالم بمدينة السويس يا أبتى ؟

أجاب الأب مبتسمًا :

- يا بنيتى مدينة السويس تشتهر بالصناعة والسياحة أكثر ففيها أكبر المصانع والكثير من شركات استخراج البترول وتكريره وتصنيعه وبها شواطئ سياحية تشتمل على قرى عديدة كمنطقة العين السخنة - عيون موسى - رأس زعفرانة - وغيرها. .

صمت الأب برهة ثم صاح قائلاً :

- لا تقولوا لى أنكم لم تستمتعوا . . !!

قال الجميع فى صوت واحد :

- لقد استمتعنا كما ينبغى أن يكون الاستمتاع . . !!

